بسم الله الرحمن الرحيم

الأصولية البعثية ماذا تعني ؟

الحلقة الثانية

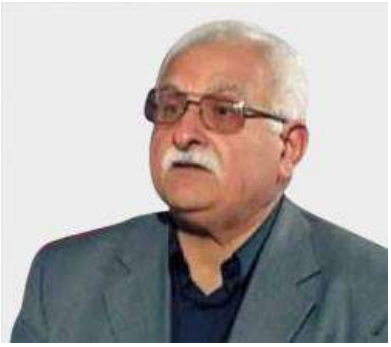

صلاح المختار

ليس ثمة شك في أن قدرة البعث على تحقيق الهدف الجوهري وهو القضاء على التشرذم بكافة أشكاله ولأي سبب نشأ تعتمد على ما يتميز به فكرياً وتنظيمياً من جهة ، وعلى امتلاكه شعبية منظمة استقطبت شرائح اجتماعية مؤثرة تمثل الكتلة الرئيسة في الأمة من جهة ثانية ، فمن دون وجود هوية توحيدية لا يمكن مقاومة التشرذم بنجاح لأنها البوصلة الهادية ، ومن دون تنظيم جماهيري منتشر في الأوساط الشعبية لا يمكن تحويل النظريات إلى تطبيق ميداني ملموس ، لهذا علينا أن ندقق هوية البعث التكوينية ، والتي تشكل جوهر الأصالة البعثية ومصدرها ، لنرى كم هي توحيدية وتنقض كافة النوازع التفتيتية :

١. الميزة الأساسية للبعث هي أنه حزب قومي عربي في المقام الأول فهو يؤمن إيماناً راسخاً بأن العرب أمة واحدة وهدفه الرئيس والأهم هو تحقيق الوحدة العربية بكافة مستوياتها النظرية والعملية بكافة الطرق فالوحدة من منظور البعث هي الضمانة الأساسية لنهضة العرب وتقدمهم وحصانتهم بوجه كافة التحديات ، وهي لذلك أول وأهم عوامل نقض التشرذم العربي المبرمج .

والقومية في البعث ليست مفهوماً عنصرياً أو عرقياً بل مفهوماً حضارياً ثقافياً يتحدد فيه العربي بمن يتحدث العربية ويخلص للعرب وهو التعريف المحمدي المعروف ، ولهذا فإن عوامل التنافر العنصري التي تشكل أحد مصادر التشرذم تزول في ظل البعث .

قوميتنا العربية تمنع بحكم طبيعتها الانسانية كل أشكال التشرذم مثل الطائفية أو العرقية أو المناطقية وتعبر فوق ، وتتعالى على ، كافة هذه الفروع المكونة للشعب ، فتعيده إلى طبيعته الوجودية الإنسانية كوجود منسجم تربطه صلات مشتركة ومتفوقة على ما عداها ضامنة للإنسان مكوناته الفرعية دون السماح لها بالطغيان على الهوية الوطنية والقومية .

٢. الاشتراكية دين الحياة وظفر الحياة على الموت (كما وصفها بعبقرية فذة القائد المؤسس ميشيل عفلق محدداً بدقة متناهية الهوية الدنيوية للبعث ، فهي دين الحياة بمعنى أنها رسالة دنيوية وليست دعوة دينية رغم أن جوهرها الحضاري والثقافي هو الإسلام ، ودين الحياة يقصد به أسلوب العيش فالاشتراكية هي الضمانة لجعل الحياة تزدهر في ظل العدالة الاجتماعية ، وبدون العدالة الاجتماعية تتحول الحياة إلى بؤس ومظالم نتيجة الاستغلال والتمييز الطبقيين ، ولهذا فالاشتراكية بإزالتها للفقر والتمييز الطبقي تحرر الإنسان من الحاجة التي تجبره على ممارسة كافة أشكال الانتهازية والكذب والفساد والإفساد ، وتبني مجتمعا دنيوياً عادلاً .

الاشتراكية القومية توفر للإنسان حاجاته المادية وبيئة اجتماعية وثقافية يحقق بها تطلعاته الروحية فلا يبقى للموت إلا العظام النخرة واللحم الجاف كما قال القائد المؤسس .

فالاشتراكية بهذا المعنى مكون أساس لأصالة البعث وهويته وهو مكون توحيدي لأنه يزيل أغلب أسباب التشرذم من المجتمع .

٣. ولتحقيق الوحدة يجب ان يصبح الحزب أنموذجاً لها بتنظيمه القومي وعلاقاته الرفاقية فمن غير الممكن إقامة الوحدة العربية بدون الطليعة الثورية التي تفهمها وتناضل من أجلها ، وهذه الطليعة ليست تجمعا يضم كتلاً مختلفة ، كالاتحاد الاشتراكي الذي أسسه المرحوم ناصر ليكون منافساً للبعث فاندثر ، بل هي طليعة ترعرت ونشأت في بيئة قومية عربية ثورية مركزية – أي الحزب – وبناءً على برنامج قومي نضالي واضح تنفذه قيادة قومية منتخبة تعمل بروح الفريق المنسجم والقيادة الجماعية ، معتمدة على النهج القومي في عملها العقائدي والتنظيمي آخذة بنظر الاعتبار البيئة المميزة لكل قطر عربي .

تميز البعث بتلك السمة الاساسية مبكراً ولهذا فإن التنظيم القومي ليس ظاهرة شكلية وفرعية فيه بل هو ظاهرة عضوية كعضوية أي فرع في جسد الإنسان وتكمن رمزيتها في أنها تجسد الوحدة العربية بصورة مصغرة ، وبهذا المعنى فإن عضوية التنظيم القومي أحد أهم مداميك قيام بناء الحزب وبدونه تنتفي الصفة البعثية عن أي تنظيم مهما اقترب من عقيدته نظرياً ويصبح محض تنظيم قطري ، وكما أشرنا التجربة الناصرية حاولت تقليد

البعث بإقامة تنظيمات ناصرية في أقطار عربية لكنها فشلت لأن تنظيمها كان يفتقر لسمة العضوية وقام على تجميع المتناقضات وهو ما جعلها تعتمد على شخص ناصر وعندما مات ماتت معه بينما بقي البعث رغم موت مؤسسيه وقادته الأصليين .

وتطورات العالم في القرن الجديد عززت النزوع نحو التفتيت والعودة للأصول التكوينية حتى داخل الإنسان الواحد الذي يتعرض للتمزق الداخلي وفقدان أي بوصلة رئيسة ما عد الذات الأنانية فزاد العالم تعقيداً وخطورة بطريقة ومستوى غير مسبوقين في التاريخ ، وهو ما عظم أهمية التنظيم القومي وعززها فلا يصمد أمام عواصف الشرذمة هذه للفرد والمجتمع إلا القوي والكتل الكبيرة التي توفر أحد أهم عوامل البقاء وكسر موجات العواصف .

ولهذا فإن الأصالة البعثية وفاعليتها الثورية تستمد حيويتها وديمومتها من عضوية التنظيم القومي وتعزيزها وتعميق صلاته .

٤. الحرية في عقيدة البعث بكافة تعبيراتها خصوصا الديمقراطية أحد أهم شروط تفتح الطاقات الإنسانية الخلاقة لأن القمع والاستبداد يقتلان

القدرات الإبداعية ، وبما أن التشرذم يجد مناخه الأمثل في القمع والاستبداد والفساد والاستغلال فإن توفير الحرية للإنسان واقترانها بالاشتراكية والمنعة عبر التوحد يزيل أغلب عوامل التشرذم .

وما جرى ويجري من حروب وأزمات وإفقار وظيفته قتل منابع الحرية من خلال اصطناع تحديات تفرض الطوارئ وربما الاستبداد لتحرم الطليعة الثورية من فرص إقامة الديمقراطية والعمل على ازدهار الحريات .

٥. المواطنة هي المعيار الأساس في التعامل مع أبناء الشعب وليس الدين والطائفة والإثنية والمناطقية أو القبلية ، دولة البعث دولة مدنية وليست دولة دينية ورجال الدين مجالهم الدعوة والتربية الدينية وليس حكم الدولة وإن كان من حق رجل الدين بصفته مواطناً مثل غيره المشاركة في العمل السياسي وفي مسؤوليات الحكومة ولكن ليس بصفته رجل دين أو ممثل لدين أو طائفة .

ومدنية دولة البعث هي التي ضمنت أثناء الحكم الوطني زوال مشاعر التمييز الديني والطائفي والعرقي وغيرها فمنعت ظهور عوامل التشرذم .

٦. البعث حزب إيماني وضد الإلحاد ولهذا قال القائد المؤسس ميشيل عفلق (العروبة جسد روحه الإسلام) وواضح وبلا أي لبس في هذه المعادلة العبقرية أن العروبة بدون الإسلام وهو روحها لا قيمة لها وبالمقابل فإن الإسلام إذا فقد جسده أي العروبة صار نظرية معلقة في السماء ليس هناك من يوصلها للأرض وإن حاول غير العرب إيصالها نواجه أمثال خميني الفارسي والمودودي الهندي وغيرهما وتلاميذهما العرب من الشعوبيين الذين نظروا للتطرف الإسلاموي بكافة أشكاله وكانوا وراء موجات التشرذم المصطنع .

٧. النظام في ظل البعث ديمقراطي شعبي تعددي دستوري يضمن توازن الحكم والسلطات .

هنا نجد أنفسنا أمام المكونات الأساسية الواضحة للأصولية البعثية والتي تشكل بعناصرها المندمجة بنيوياً الرد الحاسم والفعال على الظاهرة التشرذمية التي ولدت أصوليات تعمل كلها ضد الهوية القومية والوطنية وتمزق الشعب وتبدد قواه الاجتماعية .

ويشكل التمسك بتلك الأصولية قارب النجاة الوحيد للأمة العربية من كوارثها وأزماتها الحالية ورداً طبيعياً على المخطط الصهيوغربي فارسي لتقسيم وتقاسم الأقطار العربية على أسس طائفية وعرقية ومناطقية وقبلية وغيرها .

بالأصولية البعثية لا نضمن فقط فولاذية بنية الحزب بل أيضاً نقدم للأمة العربية بكل قطر فيها أداة ثورية لا تقهر تحفظ هويتها القومية بكافة مكوناتها ونضمن الوحدة الوطنية في كل قطر ونعززها ونوفر جهازاً ثورياً مقاتلاً عسكرياً مثلما هو بنّاء ومبدع في الثقافة والفن والعلوم والتكنولوجيا ، وهذه السمات هي ما تحتاجه الأمة العربية لمواجهة التحديات المميتة والتغلب عليها . ولدينا الدليل الواضح وهو تجربة البعث في العراق والتي قدمت أنموذجاً لنظام وطني عراقي وقومي عربي واشتراكي تقدمي اعتمد الشريعة الإسلامية كمصدر رئيس للتشريع في آن واحد وبانسجام طبيعي لم يهدده إلا الغزو الخارجي ، وكانت قاعدة قوة النظام الوطني هي اجتثاث عوامل التشرذم بالمنجزات المادية والروحية التي أزالت مصادر التشرذم وهي الفقر والأمية والتمييز فكان طبيعياً أن تتجمع ضده كل قوى الشر .

البعث بتميزه عن غيره من التنظيمات القومية والوطنية بأنه منتشر في أغلب الأقطار العربية ويلعب دوراً مهماً وأحياناً أساسياً في تطور الأحداث فهو الأقدر من غيره على توحيد التيارات المناهضة للشرذمة خصوصاً بوجود الانضباط العالي للتنظيم البعثي وهو ما يمكنه من تجاوز المحن وعمليات الاجتثاث ويواصل النضال من أجل توحيد الأمة وحماية وحدة القطر الوطنية .

ولعل أدوار البعث التاريخية خير دليل حيث أنه بادر بمقاومة صهينة فلسطين عند بدئها بانخراط البعثيين في مقاتلة المهاجرين اليهود ووحد العرب في عام ١٩٥٦ عندما وقع الاعتداء الثلاثي على مصر فخرجت الملايين تدعم مصر وناصر وهو من رفع هتاف (من المحيط الهادر إلى الخليج الثائر لبيك عبدالناصر) ، وتطوع رفاق بعثيين في الثورة الجزائرية ، وكان أحد الطرفين الرئيسيين في تحقيق وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ وكان البعثيون في فلسطين من بين مؤسسي فتح والمقاومة الفلسطينية .

والبعثيون ثوار تموز هم الذين أقاموا النظام العربي الوحيد الذي نجح في إنهاء الفقر والأمية وأعاد بناء الإنسان في ظل رفاهية إنتاجية وليس

استهلاكية وأنشأ جيش العلماء والمهندسين وأقام أقوى الجيوش العربية عدة وخبرة وأسس الصناعات الثقيلة وأحيا الزراعة لتحقيق الاكتفاء الذاتي في الغذاء ، وانتقل للاختراعات العلمية والتطوير التكنولوجي وحقق انجازات أرعبت أعداء الأمة العربية ومن بينها اختراع طريقة ثالثة لتخصيب اليورانيوم وصنع قمراً صناعياً ودبابة بابل ومدفعية ثقيلة وبنى مشروعاً نووياً دمر وهو في طور النشوء .

باختصار ، حول البعث العراق إلى أنموذج يفتخر به كل عربي يزوره وكل إنسان يراه ، وهذه الانجازات هي السبب الحقيقي لغزوه وتدميره والذي كان الحل الوحيد للقضاء على قدرة نظام عربي على إحباط مؤامرات متواصلة لقوى عظمى وكبرى ووسطى لعدة عقود ومنعه العوامل الرئيسة لشرذمة العراقيين والعرب ببدائله الأصيلة ، بينما نجحت الصهيونية الأمريكية في تصفية نظام ناصر من داخل مصر لأنه كان بلا حزب قومي توحيدي رغم وطنيته وقوميته وصدقه .

وإذا نظرنا للواقع الميداني الآن سنرى المقاومة العراقية للغزو الأمريكي والإيراني وهي إحدى أهم إنجازات البعث من حيث الإعداد المسبق

والتنفيذ ، ونرى انبعاث البعث مجددًا رغم كل الضربات المدمرة التي وجهتها له الصهيونية الأمريكية وإسرائيل الشرقية ووصلت حد استشهاد أكثر من ١٧٠ ألف بعثي ، وهو رقم مذهل يزيد على عدد الأعضاء الأحياء لمجموع الأحزاب العراقية وأكثر من أعضاء أي حزب عربي ، فشهداء البعث وحدهم حزب جماهيري لا نظير له وهو حزب يمنح البعث ، المتسم بالانبعاث والتجدد الدوريين ، قدرات هائلة على الصمود ومواصلة المقاومة بكافة أشكالها حتى تحقيق التحرير الكامل للعراق من كافة غزاته .

الآن كل القوى العراقية وأغلب القوى العربية والاقليمية والدولية تحاور البعث أو تحاول ذلك بعد ١٤ عاماً من الغزو والعزل والاجتثاث وما تعرض له من كوارث لم يتعرض لها حزب آخر ، فما السر في تجدد البعث وانبعاثه كلما اغتيل ؟ ، ولم غيرت أغلب القوى مواقفها منه ؟ ، السر هو العقيدة القومية الاشتراكية مقرونة بالتنظيم القومي العضوي واللذان يشكلان مصدر ديمومة البعث وخلوده .

Almukhtar44@gmail.com

17-6-2017

بسم الله الرحمن الرحيم

دليل الكتّاب

صفحة الكاتب صلاح المختار

فرسان البعث العظيم